

المحاضرة الثانية: -منهج غوتلوب فريجة وأهم تصوراته التحليلية وخصائص فلسفته:
لقد اعتمد "غولوب فريجة" التحليل المنطقيّ منهاجا لفلسفته، فاتخذه سبيلا "لمعرفة العناصر المنطقية في اللغة، وهي التي تُولف مع غيرها من العناصر اللسانية الأساس في بناء لغة رمزية، يتجلى فيها المنطق والاستدلال"⁽¹⁾

وقد ضمّن كتابه "أسس علم الحساب" كثيرا من تصوراته الفلسفية القائمة على التحليل ومن ضمنها تصوراته وطروحاته حول اللغة وضرورة فحصها وتحليلها لحل مشكلات الفلسفة وفهم العالم

لعلّ من أهم الأفكار الفلسفية التي تدرج ضمن فلسفة اللغة وتعتمد التحليل إجراء لها ، تمييز غوتلوب فريجة في رؤيته الدلالية للعبارة اللغوية والقضايا بين "مقولين لغويين تتباينان مفهوما ووظيفيا؛ وهما اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية"⁽²⁾، فاسم العلم يشير إلى فرد معين، و شيء فردي معين ولا يمكن أن يكون محمولا، أما الاسم المحمول فيدلّ على تصور أي على مجموعة الخصائص التي تُسند إلى اسم العلم، " فالعلم يؤدي معنى تاما مستقلا دون حاجة إلى لفظ آخر ليتمّ معناه ، والمحمول يحتاج إلى اسم العلم ليعطيه معنى"⁽³⁾، أما القضية الحملية فتتكون من طرفين: اسم علم ومحمول يُسند إلى اسم العلم في حين تتكون القضية غير الحملية من علاقات أخرى خارجة عن الإطار الحملي.

كما ميّز فريجة في رؤيه الدلالية بين المعنى والمرجع، "فالمعنى يحدّد يحدّد في ضوء السياق وتساعد الحقيقة المشروطة، فمعنى الجملة يقوم على شروط حقيقية تعيّن دلالتها، وتتأى عن الافتراض والتأمل، فمعنى الجملة الحقيقي [يكن] فيما يمكن مشاهدته والتحقق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة"⁽⁴⁾، كما يلحّ "فريجة" أنه لا يجب الخلط بين المعنى الظاهر من القول والمعنى المقدر أو المضمّر. كونه يعني خلطا بين الجملة والقول والمرجع.

وربط بين مفهومين تداوليين هامّين هما الإحالة والاقتضاء، ناهيك عن دعوته في بحث طبيعة العدد إلى تحليل الجمل التي تظهر فيها الأعداد،⁽⁵⁾ فهو لا يعتمد إلى النظر في العدد ذاته بل إلى كشفه وتحديد انطلاقا من وسطه المنطقي.

وهذه الأفكار والرؤى التي جاء بها فريجة عدّها الفلاسفة انقلابا جديدا عما تبخّته الفلسفة القديمة، حيث أنكر عليها عدم الالتفات إلى اللغة الطبيعية(اللغة البشرية)، وعدّ اللغة مبحثا في الفلسفة وموضوعا مهما لها ، واستبعد جانب ما وراء الطبيعة الميتافيزيقي.

كما أنّ تمييزه مثلا بين اسم العلم والمحمول يعدّ من اكتشافات المنطق الحديث، لأنّ أرسطو(...) كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية ولم يتم التمييز بينهما إلا بعد صياغة المنطق الحديث.⁽⁶⁾

وأما عن أهم ما يميز هذه الحركة الفلسفية وروادها من خصائص فهي: (7)

- 1- اعترافها بدور اللغة الفعال في الفلسفة، فاللغة عندهم ليس وسيلة فقط بل هدف من أهداف الفلسفة وهي مدخل مهم وأداة لها قيمتها في مساعدته على حسم المسائل الفلسفية.
 - 2- اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.
 - 3- خاصيتها المعرفية فهي تتجه نحو الكشف عن العالم الخارجي عن طريق فحصه، لاكتساب المعرفة، فهي تهدف لأن تكون علمية.
- كما أنها تنكر على الفلسفة الكلاسيكية ركيزها على الجانب الميتافيزيقي (ما وراء اللغة) وإهمالها دراسة اللغة الطبيعية ووظيفتها فركزت على الجانب المعرفي والتواصل، واتخذت من اللغة مدخلا للبحث الفلسفي.

وقد لخص الباحث "صلاح إسماعيل جملة الخصائص التي تميّز هذه الحركة الفلسفية عن باقي الاتجاهات في الفلسفة المعاصرة في نقاط هي "أولا: فكرة مركزية اللغة بالنسبة للفلسفة، إذ يعتقد الفلاسفة التحليليون أنّ قضايا الفلسفة يمكن فهمها فهما جيدا عن طريق العناية باللغة وهذا الاتجاه نحو الاهتمام باللغة أصبح يسمّى في العرف الفلسفي "التحوّل اللغوي" (linguistic turn) وهو أصدق ما وصف به الفلسفة التحليلية. ثانيا: الاعتماد على المنهج التحليلي سواء اتخذ هذا لمنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليل اللغوي. ثالثا: احترام نتائج العلم والحقائق التي يسلم بها الحس المشترك، وأخذها بعين الاعتبار عند معالجة المشكلات الفلسفية" (8)

إن الفلسفة التحليلية تسير بصورة عامة في توجه تؤطره محاور ثلاثة نعرضها في: (9)

- 1- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
 - 2- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي".
 - 3- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث "الدلالة" والظواهر اللغوية المتفرعة عنه، والدلالة التي بحثتها الفلسفة التحليلية ذات تمازج منطقي-تداولي.
- انطلاقا من كل ما سبق يمكن القول عن الفلسفة التحليلية إنها تُعنى بتحليل المعنى تحليلا منطقيًا وترى في اللغة موضوعا للدراسة لا وسيلة تواصلية فقط، وتعتبرها مدخلا مهما لحل المشكلات الفلسفية وفهم العالم. فالفلسفة "كنمط متميّز من التفكير توصف بأنها تعبير لغوي يقوم من خلاله الفيلسوف بطرح جملة من القضايا والإشكالات، حيث لا يمكن التفلسف بعيدا عن اللغة، فالإنسان إذا لم يفكر بلغة فهو لا يفكر على الإطلاق" (10)

فالفلسفة التحليلية مذهب فلسفي يتخذ اللغة موضوعا له ويقوم على التحليل منهجا له، يعتمد إلى تفتيت المشاكل الفلسفية إلى أجزاء ثم يعالجها جزءا جزءا باحثا عما يمكن أن يكون مشتركا بين الأجزاء، مستندا إلى اللغة بعدّها مدخلا مهما لحل كل المشكلات، وهي وإن كانت تشكل ثورة على الفلسفة التقليدية التي ركّزت على الميتافيزيقي فإنها تعالج الموضوعات نفسها للفلسفة التقليدية محاولة فهم الكون وحركته بكيفية سليمة غير أنها تختلف عنها في الأسلوب والمنهج لأن الفلسفة التحليلية

منهجها هو التحليل اللغوي. فهم يرون أنّ "جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا وجميع العلاقات الذاتية مع الأفراد والمجتمع ، ومع تاريخ الجنس البشري، قائم على أسس لغوي إن أراد ن يكون له معنى ، فالطابع اللغوي مرتبط دائم وأبدا بالفهم، ما جام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة".⁽¹¹⁾

وقد تأثر بـ"فريجة" وتأثيراته الفلسفية الجديدة كثير من الفلاسفة منهم "برتراند راسل" B.Russell، وفيتجنشتاين (Wittgenstein)، وج. أوستين (J. Austin) وج. سيرل (J. Searl)، وهوسرل (Husserl) وكارناب (Carnap) وغيرهم إذ بث في قلوبهم وعيا بضرورة البحث في اللغة ، وبحاجة الفلسفة إلى البحث اللغوي، ففهم الإنسان لذاته ولعالمه يركز في المقام الأوّل على اللغة؛ إذ هي التي تعبّر له عن هذا الفهم⁽¹²⁾، لثُرُكُزُ جهودهم حول إعادة فهم اللغة الطبيعية وتوضيحها، وكذا تحليل اللغة لمعرفة العالم من حولنا وفهمه تبعا لتعريف اللغة وفهمها، وقد تميز الفلاسفة بالاتفاق حول المبادئ الكبرى المؤسسة لهذا لتوجه نحو التركيز على التحليل والابتعاد عن الميتافيزيقيات واعتبار اللغة وسيلة لفهم العالم وحل المشكلات، كما تميزوا بالاختلاف في بعض الجزئيات نحو الاختلاف في طبيعة اللغة الواجب دراستها فهناك من يصبو إلى وضع لغة صطناعية رمزية تجنبنا مشاكل سوء الفهم وهناك من يرى أنّ اللغة العادية أنسب وأوضح في التعبير عن مشاكل الفلسفة، لتظهر فروع في الفلسفة التحليلية لكل منها توجهه ومنهجه.

هذه الفروع هي: الوضعانية المنطقية (Positivisme logique) تأسس على يد رودولف كارناب (Carnap) ، والظاهرانية اللغوية (Phénoménologie du langage) تأسست على يد إدموند هوسرل (Husserl)، وفلسفة اللغة العادية (Philosophie du langage ordinaire) تأسست مع فيتجنشتاين (Wittgenstein).

مجمل القول عن الاتجاه التحليلي هو قيام تصوراتهم الفلسفية على تحليل المفاهيم لأجل الوصول إلى معرفة الأجزاء التي يتكون منها منطلقين من اللغة، بعدّها هدفا للبحث تتجاوز كونها وسيلة للتخاطب والتبليغ، وهم ينظرون إليها لا من حيث كونها ألفاظا بل من حيث ما تشير إليه من أفكار ومعرفة تعكس أفكارنا وتصوراتنا للعالم من حولنا، وقد كان الفلاسفة التحليليون يترجمون المشكلات الفلسفية إلى حدود وقضايا لغوية.

(1) محمود عكاشة: البراغماتية، ص45.

(2) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص28، 27. ومحمود عكاشة: لتداولية، ص44(الهامش)، ومحمود زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص12.

(3) ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص36. ومحمود عكاشة: التداولية، ص44(الهامش). وليلى كادة: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم، جامعة باتنة، 2013/2012، ص12، 13.

(4) محمود عكاشة: التداولية، ص44.

(5) ينظر: محمود عكاشة: التداولية، ص44؛ وليلى كادة: المكون التداولي في النظرية اللغوية العربية، ص12، ومسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص29.

(6) ينظر: محمود زيدان: في فلسفة اللغة، ص12.

(7) ينظر: محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص154، 155.

(8) صلاح إسماعيل: فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط) 2007، ص40. وينظر: ليلي كادة: المكون التداولي في النظرية اللغوية العربية، ص16.

(9) ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص43.

محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة ولخاطب، ص13.

(10) بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص32.

(11) مسعود صحراوي: الأفعال المضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص41. نقلا عن روديغر بوبنر: الفلسفة اللسانية الحديثة، ص81.

(12) ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص43؛

ومسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008، ص31. محمود عكاشة: لبراغماتية، ص43.